**الملكة اللغوية.**

شكّل موضوع الملكة اللغوية مجال بحث لدى العلماء قديما وحديثا، فبحثوا في ماهيتها وطرائق تحصيلها. وقبل أن نعرض ما توصل إليه علماؤنا بخصوص هذا الأمر سنحاول تعريف مصطلح الملكة لغة واصطلاحا.

**1/ تعريف الملكة لغة:**

سنتبيّن المفهوم اللغوي لهذا المصطلح في معجمين، هما:

**أ ـ لسان العرب:**  [م ل ك] باب الكاف فصل الميم.

الملك هو الله تعالى وتقدّس، والمِلْكَةُ مُلْكُكَ، ويقال حسن المِلكة والمِلك، ويقال: فلان حسن المَلكة؛ إذا كان حسن الصنع إلى مماليكيه، حسن الملكة نماء.

ب ـ **تاج العروس:** باب الكاف فصل الميم، مَلَكَه يملِكه مَلْكا، والملك ضربان: ملك هو التملُّك والتولّي، وملك هو القوة على ذلك.

نفهم مما تقّم أنّ المعنى العام لمادة [م ل ك] له صلة بالقوة والشدة في الطبع.

**تعريف الملكة اصطلاحا**: تعدّدت تعريفات علمائنا العرب لمصطلح الملكة، فكل واحد عرّفها حسب توجّهه، وبما جادت قريحته في هذا المجال، ونحن سنقتصر على تعريف ابن خلدون لها **.**

فقد اعتمد ابن خلدون (732-808هـ) مصطلح الملكة في الفصل 45: علوم اللسان العربي (اللغة، النحو، البيان، الأدب) ، يقول في تعريفه للغة: "**ا**

**اِعلم أنّ اللغة في المتعارف، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصبير ملكة متكرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمّة بحسب اِصطلاحهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من أحسن الملكات وأوضحها إبانة عند المقاصد، لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني**". ويضيف قائلا : "**إنّ ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم**" .

فالملكة عند ابن خلدون: لها جانبان:

**1)-** جانب فطري، حيث تكتسب بالسماع حين ينشأ الطفل في وسط لغوي أو بيئة، فلا يحتاج إلى تعلّمها على يد متعلم فهي طبع (ربط الملكة بالطبع)

**2)-** وجانب صناعي، فهي مهارة تحدث عن طريق التكرار والمران والممارسة، فهي معرفة علمية وليست معرفة علمية بالقواعد النحوية، حيث نجده يقول: "نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودّته أو شكوى ظلّامه أو قصد من قصوده أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن ولم يُجد تأليف الكلام لذلك" فالصناعة هي المعرفة العلميّة للقوانين للملكة اللغوية وليست الملكة نفسها؛ أي المعرفة العمليّة.

**3/ اكتساب الملكة:** من الآليات التي حدّدها ابن خلدون لاكتساب الملكة:

**أ)- كثرة الحفظ وجودة المحفوظ:** ومن أقواله في هذا الشأن:

"ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري في أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، حتى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم منزلة من نشأ بينهم".

"وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا."

"وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته من جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ"

**2)- الفهم:** يمكّن من استثمار المحفوظ، يقول ابن خلدون: "ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه حفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بالحفظ والاستعمال" ويعيب ابن خلدون على من يقد

م الحفظ على الفهم بقوله:"ويا غفلة بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أوّل عمره يقرأ ما لا يفهم".

**3- الاستعمال:** معناه أن يستخدم المتعلّم ما حفظ وفهم في أساليبه ، وأن ينسج كلاما على منوال ما حفظ وفهم ، يقول: "ثم يتصرّف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال".

**4/ شروط الملكة:**

السمع

**مراحل تكوين الملكة** الحفظ

الفهم

النحو

**مصادر تكوين الملكة** البيان

مرجع اجتماعي (المخالطة والمعايشة)

مرجع ذاتي [الفطرة والطبع]

**مراجع تكوين الملكة اللساني** مرجع تاريخ اللغة الصافية الأولى

**5/ المبادئ التي تقوم بتكوين الملكة:**

**مبدأ السماع:** السماع أبو الملكات، يفضّل على المكتوب، وهذا الرأي توافقه الدراسات اللسانية الحديثة.

فالمتكلم يتمكّن عن طريق حاسة السمع من نقل اللغة نقلا مباشرا، ويقتصر هذا المبدأ على الفهم والتأويل، وهما أساس العملية التواصلية.

كما أنّ السرعة في النقل والحفظ تمكن المتكلم من الاندماج في العملية التواصلية بجميع جوانبها النفسية واللسانية والاجتماعية، والتاريخ العربي بُني على المشافهة.

**مبدأ التكرار:** يقوم على الحفظ ، وهو مبدأ تعليمي نابع في الثقافةالعربية الإسلامية والمنظومة التربوية تأسّست على مبدأ التلقين. يقول ابن خلدون: " **هذه الملكة كما تقدّم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرّره على السمع والتفطّن لخواص تراكيبه."**

**مبدأ الترسخ:** يقوم على مبدأي السماع والتكرار، فبهذا المبدأ تكتمل الملكة وتتشكّل معالمها، إذ دون ترسيخ لما يتعلّمه الفرد لا يمكن للملكة اللسانية أن تستقرّ وتؤدي معناها.

والترسيخ هو نتيجة لمنوال سابق استقرّ في الذاكرة الاجتماعية وعلى المتكلم أن يرسّخه في ذهنه حتى ينسج عليه،و يحدث بالحفظ عن طريق السماع والتكرار.

**6/ مصطلحات تتداخل مع مصطلح الملكة:**

كثيرا ما يحدث الخلط بين الملكة والقدرة والمهارة، لذلك ارتأينا أن نعرّف كل مصطلح لى حدة حتى نتمكّن من إدراك الفرق بينها.

**ـ تعريف الملكة:**

هي جملة المعارف العامّة [الفطرية، والمكتسبة البدائية] المخزّنة في الذاكرة، وجملة الموارد الذهنية الكلية التي يمكن توظيفها في أحوال متباينة.

**ـ تعريف المهارة:**

هي تترجم أحد الجوانب العمليّة للقدرة سواء أتعلق الأمر بنشاط عضلي كمهارة الكتابة والضبط أم بنشاط فكري كمهارة تصريف الأفعال، فهي تمثل التحقيق الفعلي والعملي (المادي) لجانب من جوانب القدرة.

**ـ تعريف القدرة:**

هي مجموع المخططات [الخطط] الإجرائية المتعلّقة بنشاطات ذهنية أو حركية. فالقدرة هي كيفية توظيف النماذج والمثل المخزنة في الذاكرة تبعا لأحوال التخاطب المختلفة وظروف المجال الذي تستغلّ فيه تلك النماذج، تتفاعل تلك القدرات فيما بينها لتشكل في آخر المطاف هيكل الملكة اللغوية. وللقدرة أنواع، نذكر منها:

**- القدرة النحوية:** وتشمل على مختلف الآليات التي تسمح للفرد بفهم الخطاب اللغوي في كلّيته أو جزئيّ؛ته شكلا ومضمونا أي تفكيكه [وفق ضوابط اللغة]، والوصول إلى البناء النهائي [وفقا للقواعد].

**ـ القدرة اللغوية الاجتماعية:** القيم الاجتماعية التي اكتسبها الفرد من مجاله الخارجي الذي نشأ وترعرع داخله وهذا له ارتباط بكيفية إنتاج النصوص اللغوية، فهي توجه سلكوه اللغوي عند الإدراك، التحليل، التخزين، التركيب، فالإنتاج، فهي تمثّل كل ما اكتسبه الفرد من العناصر المقاميّة التي ارتبطت ارتباطا مباشرا أو غير مباشر بإنتاج النصوص اللغوية.

**ـ القدرة الخطابية:** تتجلى في إمكانية الفرد فهم المعاني العامة للنصوص اللغوية ومقاصدها. فهي تمنح الفرد جملة من الآليات التي تسمح له بفهم موضوع النص من خلال جملة من العناصر السياقية (لغوية أم غير لغوية) يتّخذها كمعلم موجّه نحو المعنى المقصود.

**ـ القدرة الإستراتيجية:** التنسيق بين القدرات العامة السالفة بما يزيد من المردود التواصلي.

**ـ القدرة على الكلام:** وهي استطاعة الفرد على إنتاج عدد غير محدود من السلاسل الصوتية اللغوية وفقا لأغراض التواصل، ولها جانبان: فيزيولوجي و عصبي.

**7/ ملكة الفهم:**

تستند ملكة الفهم إلى خلفيّة جماعية، ذلك أن الفرد يكتسب اللغة بكل ما تحمله من تهكّمات ثقافية واجتماعية وحضارية، وفيما بعد، تتدخّل شخصيّة الفرد بحكم أن الفرد يبدأ مقلّدا في فهم اللغة ثم يستقلّ مع تطوّره في النمو الجسدي والعقلي.

ويعرّف الفهم بأنه: "عملية إدراك أو توقّع معنى كلّ شيء كمعنى الكلمة والعبارة أو الاصطلاح، ومعنى الجملة أو المحادثة الطويلة".

كما يعرّف بأنه: "القدرة على تحقيق المعنى ودلالة الرسائل اللغوية سواء كانت مكتوبة أو منطوقة، والفهم اللغوي يستدعي قدرات الفرد السليمة التي تتمثّل في معرفة اللغة، إضافة إلى قدرات أخرى (الإدراك، التمييز السمعي البصري، الإنتباه، الذاكرة، القدرات الذهنية).

والفهم اللغوي منصب أكثر على الفهم السمعي بما أن اللغة تكون إما مكتوبة (مقروءة) [فهم قرائي] أو منطوقة (مسموعة) [فهم سمعي].

لذلك يمثل الفهم القاعدة الأساسية في الاكتساب المعرفي بحيث يتلقىّ المتعلّم معارف مختلفة ومتنوعة، يتوجّب عليه استيعابها، وهذا يتطلب استدعاء الآليات العقلية من أجل تنظيم هذه المعارف.

فملكة الفهم هي التي تجعل المتعلم قادرا على تنظيم المعلومات التي يتلقّاها في مجموعات أو وحدات ذات معنى، فهذه الملكة هي التي تمكن الفرد من تمييز الصحيح من الخطأ وتمييز ما يقبله العرف ويجيزه الاستعمال وما لا يقبله ولا يجيزه.

ـ **مستويات الفهم:** يمكن حصره في مستويين:

**أ ـ مستوى معالجة الكلمات:** يحدّد من خلال السياق المستعمل فيه، إضافة إلى الخبرات السابقة للمتعلم، فالمتعلم لديه قدر كبير من المعاني ولابد أن يرجع للسياق كي يفهم المعنى.

**مستوى معاني الجمل:** يتم فهم المعنى التام للجملة انطلاقا من ترتيب الكلمات والسمات النحوية لها، وهي تنقسم إلى:

**فهم التراكيب:** وهو يتم من خلال التحليل التركيبي للجملة.

**فهم المعنى:** عن طريق فحص المرجع العقلي الذي تُخزن فيه المعالجة.

**ـ درجات الفهم:** يتم الفهم عبر مراحل، تتمثل في:

**1)- التحويل:** تتجلى في قدرة المتعلم على شرح رسالة ما أو قدرته على التعبير اللفظي عن شيء معين. مثل : تحويل رسم إلى لغة، أو تحويل لغة إلى لغة أخرى مع الأمانة والثقة والتعبير عن المضمون دون تأويل أو تحريف.

**2)- التأويل:** وهي عملية عقلية تمثّل الدرجة الثانية من الفهم، ويقصد به إدراك العلاقة الموجودة بين عناصر الرسالة واستخلاص الأفكار والنتائج منها.

**3)- التعميم:** وتمثل درجة الرقي في الفهم، وهي تتطلب تمكن الفرد من التحويل والتأويل، وهو يعني الانتقال من الاستعمال الأصلي إلى توسيع هذا الاستعمال على المجالات والمظاهر الأخرى، مع إدراك حدود التعميم.

الفهم يبدأ بالتحويل – التأويل، التعميم.

**، خطوات الفهم:** وتتمثل في:

**1/- مرحلة الإدراك:** بإدراك النص من خلال فهم معانيه المباشرة وغير المباشرة.

**2/- مرحلة التمثل:** تمثيل معالجة الكلمات والجمل وتخزينها ووضعها في حالة الاستعداد للإجابة.

**3/- مرحلة الاستجابة:** اِستخدام المعاني التي تمّ تمثيلها.

**8/- ملكة القراءة:**

تعرّف القراءة بأنها القدرة على فك الرموز المكتوبة وتحويلها إلى ألفاظ مفهومة ذات دلالة بالنسبة للفرد ولمستمعه، وهي عملية ذهنية تأملية ونشاط عقلي مركب، إذ تتآلف فيه قدرات الفرد المختلفة كالقدرة على التعرف والفهم والتمييز والتحليل والتركيب والإدراك.

والقراءة لا تتمّ دفعة احدة وإنّما تتحقّق على النحو التالي:

- عملية متعددة المستويات تبدأ بالمعرفة والمقصود بها معرفة الحروف الهجائية.

- ثم الاستيعاب الجديد: وهي عملية الربط بين كل أجزاء المعلومات المقروءة مع الأجزاء الأخرى المناسبة.

- ثم عملية تخزين المعلومات (التكامل الخارجي)

- استعادة المعلومات المخزونة عند الحاجة إليها (الاستدعاء)

- ثم الاتصال: وهو الاستخدام الذي سيتم التعبير عنه بأسلوب آخر.

**أهداف القراءة:**

**1/-** الرغبة في الاستماع والحصول على الثقافة العامة.

**2/-** استكشاف الصورة العامة لكتاب ما رغبة في الوصول إلى اقتنائه من عدمه.

**3/-** مراجعة كتاب تثبيتا للمعلومات في الذاكرة.

**4/-** القراءة الباحثة.

**5/-** الرغبة في تدقيق المكتوب ومراجعته وتصحيحه.

**6/-** القراءة من أجل السيطرة واستيعاب المادة المقروءة من المرة الأولى.

**7/-** القراءة بهدف السعي لنقد محتوى الكتاب.

والقراءة تنشأ باسهخدام حاستي البصر واللسان معا، وهذا بحسب القراءة التي يمارسها المتعلم(القراءة الصامتة والقراءة الجهرية)

وملكة القراءة لا تقلّ أهمية عن باقي الملكات،خاصة وأن الله سبحانه وتعالى أمر رسزله الكريم بالقراءة والتدبّر، وهذا ما منحها مكانة مرموقة ومهمة في مجال التعليم، فهي تعدّ من أهم أدوات ووسائل اكتساب المعرفة، ولكي تكون القراءة فعّالة ونافعة لا بدّ من أن تتحقّق فيها شروط ثلاثة، هي:

ـ أن يكون المتعلّم على قراءة النصوص قراءة صحيحة.

ـ أن يراعي في قراءة هده النصوص الأداء مع اعتماد أدوات الوصل والوقف.

ـ أن يفهم ما يقرأ وينفع به في المجالات المتصلة بحياته ونشاطه.

والدانب النفعي للقراءة لا يتحقق دفعة واحدة،وإنما يتأتى بالمواظبة المستمرة والجادّة على مطالعة الكتب باختلاف أنواعها، فالقراءة على ما تقدّم تسلّح صاحبها بلوازم لغته؛ إذ لا يمكن أن نتصوّر ملكة لغوية دون وجود ملكة القراءة.

**المراجع:**

ـ بوشوك مصطفى بن عبد الله، تعليم اللغة العربية وتلّمها وثقافتها، الرباط،ط2، 1991.

ـ صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط5، 2009.

ـ هني خير الدين، تقنيات التدريس، ط1، 1999.